علم الأسلوب والعلوم اللغوية والأدبية

إن أي علم لم يأت من فراغ،وخصوصا إذا تعلق الامر بالعلوم الإنسانية والاجتماعية،ولهذا فإن الحديث عن علاقات الترابط بين تلك العلوم يعد من الأمور المسلم بها منطقا ،والمقبولة عقلا عند كل الباحثين،ولذلك تجدهم دائما ما يحاولون إبراز الاختلافات ،وتوضيح المتشابهات،وتبين الفروقات. ولهذاوجب علينا أن نتطرق إلى العلاقة بين علم الأسلوب والعلوم اللغوية والأدبية الأخرى.

1- علاقة الأسلوبية بالبلاغة :

إن علاقة الأسلوبية بالبلاغة وثيقة جدا، وهو ما أدى بالعديد من الباحثين إلى اعتبار" أن علم الأسلوب هو الوريث الشرعي للبلاغة العجوز التي أدركها سن اليأس وحكم عليها تطور الفنون والآداب الحديثة بالعقم"[1]، وأعتقد أن هذا الحكم خاص ببلاغة السكاكي، الذي أقفل بمفتاحه باب الاجتهاد البلاغي

[1] أيوب جرجيس العطية ، الأسلوبية في النقد العربي المعاصر ، علم الكتب الحديث للنشر والتوزيع،أربد، الأردن، (د ط)، 2014، ص40

القائم على المشاهدة والاستخلاص، وليس على القاعدة والاستنباط،ورغم هذا، فإن الوشائج بينهما كثيرة ؛ فإذا "كانت البلاغة تقوم على الشاهد أو المثال، فإن الدارس الأسلوبي يعالج النصوص كاملة. إذن لكل منهما علم قائم بذاته، ولكل ميدانه. وآخرون ذهبوا إلى الجمع بينهما بغية خدمة النص الأدبي؛ ذلك لأن البلاغة القديمة تهدف مسبقا إجراءاتها ومسائلها لإنتاج هذه النصوص، في حين تفسح الأسلوبية المجال أمام المبدع لإبراز طاقته الفكرية في داخل النص الإبداعي، فالبلاغة القديمة يمكن أن تستفيد من معطيات الأسلوبية الحديثة، بخاصة على مستوى المنهج، والتحليل، ومراعاة المبدع في العملية الإبداعية. وكذلك تحتاج الأسلوبية إلى أنماط البلاغة القديمة"[1]

ولكن الأنسب، في اعتقادي، هو الجمع بينهما خدمة للنص الأدبي ؛فالبلاغة القديمة يمكنها الاستفادة من الأسلوبية الحديثة على مستوى المنهج، كما أن الأسلوبية تحتاج إلى أنماط البلاغة القديمة.ولذلك يمكن القول: إن العلاقة بينهما تكاملية، فلا يجدر الفصل بينهما.

ونحن سنخصص فصلا كاملا فيما بعد يتحدث عن علاقة الأسلوبيةبالبلاغة.

2- الأسلوبية والنقد الأدبي:

[1] أيوب جرجيس العطية ، الأسلوبية في النقد العربي المعاصر 41-40.

لقد عد جاكبسون الأسلوبية فرعا عن اللسانيات، وهي خاصة بالدراسة اللغوية للنصوص الأدبية، وبذلك "فإن الدراسة الأسلوبية عملية نقدية، ترتكز على الظاهرة اللغوية، وتبحث في أسس الجمال المحتمل قيام الكلام عليه. أما النقد، فيعتمد في اختياره على عنصري الصحة والجمال، والصحة مادة الكلام، أما الجمال فهو جوهره. وتكون الأسلوبية بمثابة القنطرة التي تربط نظام العلاقات بين علم اللغة و النقد الأدبي "1وتأسيسا على ذلك،نجد أنهما يسعيان إلى " الى اكتشاف الجمالية والإمتاع، ومواضع التأثير، ليوصلها إلى القارئ، وإن اختلف في بعض الأدوات والتصورات. وتلك هي (المقاربة الثانية) بينهما"2 وإذا بدا أن هدفهما واحد،وهو البحث عن الجمالية في العمل الإبداعي ،إلا أن إجراءات البحث عن مواطن ذلك الجمال مختلفة فـ"إذا كانت الأسلوبية تهتم بأوجه التراكيب ووظيفتها في النظام اللغوي، فإن النقد يتجاوز ذلك إلى العلل والأسباب. غير أن التقارب بينهما يكمن في محاولة الكشف عن المظاهر المتعددة للنص الأدبي من حيث التركيب، و اللغة والموسيقى"3.

وحقيقة الأمر أن هناك نوعين من الأسلوبية:

---

[1] يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية الرؤية والتطبيق ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن ، ط1، 2007.ص 52.

[2] أيوب جرجيس العطية ، الأسلوبية في النقد العربي المعاصر ، ص42.

[3] يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية الرؤية والتطبيق ، 56

- ✓ الأسلوبية التي صاغ أدبياتها شارل بالي،والذي كان وفيا لأستاذه دي سوسير، فلم تخرج في بعديها النظري والتطبيقي عن أفكاره، وبذلك فهي أسلوبية لا علاقة لها بالنقد الأدبي.
- ✓ أسلوبية ليوسبيتزر التي حاولت التنصل من المبادئ المؤسسة للأسلوبية،وعلاقتها وثيقة بالنقد الأدبي ،إن لم نقل هي جزء منه.

وانطلاقا من هذا، يمكننا أن نذكر أهم الفروق بينهما:

1-النقد أقدم من علم الاسلوبية

2- يتصف النقد بالانطباعية، في حين تحاول الأسلوبية الاتصاف بالموضوعية .

3- يعتمد النقد الأدبي على المعرفة والآراء الشخصية، وهو ما لا تتباه الأسلوبيه لانطلاقها من الدراسة المحايثة.

3- علاقة الأسلوبية بعلم اللغة :

يرى أحد الباحثين أن"الأسلوبية هي جزء من اللسانيات وفرع من فروعها ".1ومن هذا المنطلق ،نقر بأن الأسلوبية "وليدة رحم علم اللغة الحديث؛ فهي مدخل لغوي لفهم النص. وسنعرض فيما يلي لأهم جهود اللسانيات في علم اللغة

[1] صلاح فضل ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص215

الحديث الذي شكل الأرضية لخروج الأسلوبية، وإفادة الأسلوبية من تلك الجهود وكيف استثمرت مخرجات الجهود اللسانية في دراستها"[1]

وتأسيسا على ذلك ،تكون علاقة الأسلوبية بعلم اللغة "علاقة منشأ ومنبت ، ووفق ما يرى الباحثون، تحدد الأسلوبية بكونها أحد فروع علم اللغة، إلا أن اعتمادها على وجهة نظر خاصة تميزها عن سائر فروع الدراسات اللغوية.

فالأقرب إلى المنطق اعتبارها علما مساويا لعلم اللغة ،لا يعنى بعناصر اللغة من حيث هي ، بل بإمكانياتها التعبيرية، وعلى هذا الأساس يكون علم الأسلوب الأقسام نفسها في علم النقد "[2]

غير أن الحديث عن الوشائج بينهما لا يعني مطلقا اتحادهما ؛فالقروق بينهما كثيرة ومتعددة،ف: "الدراسات اللسانية تُعنى أساسا بالجملة، والأسلوبية تُعنى بالإنتاج الكلي للكلام، وإن اللسانيات تُعنى بالتنظير إلى اللغة كشكل من أشكال الحدوث المفترضة، وأن الأسلوبية تتجه إلى المُحدثِ فعلاً، وان اللسانيات تُعنى باللغة من حيث هي مدرك مجرد تمثله قوانينها، وأن الأسلوبية تُعنى باللغة من حيث الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي كأداء مباشر"(3).

---

[1] يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية الرؤية والتطبيق ص40

[2] نفسه ص 39

[3] نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 46، 47.

ويؤكد أحد الباحثين العلاقة بينهما من خلال تعريفه للسانيات ؛فهو يعتبرها" العلم الذي يدرس مجموع القوانين المكونة للظاهرة اللغوية والمولدة لها، ويستشهد بتعريف (مارتيني) اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة الإنسانية، كما يشير إلى أقسام النظرية العامة للسانيات، وإفادة الأسلوب من هذه الأقسام، وذلك في تحديد قدرة المتكلم على استعمال الأصوات للدلالة أو للدلالة الفنية، فالصوت "إيه" قد يفيد معنى (الحسرة) والصوت "آه" معنى (الألم) والصوت "ألو" معنى (الاستمرار... في كثير من عملية الاتصال)، ولكن ثمة حقول تتعلق بتغيير شكل الكلمات الصوتية وصيغها ،كالتورية؛ حيث تؤدي الكلمة الواحدة معنيين: الأول قريب، والثاني بعيد. وعليه، فالأثر الصوتي لا يقف عند حدود الكلمة، بل يتعداها إلى النص، عن طريق إحداث إتساق صوتي بين بعض الجمل"(1).

وقد اعتبر جاكبسون الأسلوبية "إسقاطا لمحور الاختيار على محور التوزيع ".وهو ما جعل العديد من الباحثين يعتمدون قوله فيعتبرونها "وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات "

إن هذا الأمر قد جعل العديد من الباحثين يشككون في شرعية وجود الأسلوبية، والقول بموتها، وإلحاقها مباشرة باللسانيات، لتعرف مرة أخرى بكونها "

[1] نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب ص 48 .

لسانيات تأليفية، تعنى بدراسة النصوص الأدبية، مقابل اللسانيات التحليلية التي تعنى بدراسة اللغة عامة ".

فاللسانيات كمنهج وصفي تحليلي علمي قد قدمت حقا للأسلوبية حبل النجاة من ربق الانطباعية والمعيارية من جهة،لكنها قد أقحمتها في جفاء المنهج، وأوقفتها عند حدود الاستقراء الشكلي المجرد، من جهة أخرى. ولهذا،كان على الأسلوبيين اقتراح الحلول التي تخرج الأسلوبية من سيطرة اللسانيات، التي كادت أن تذوب فيها،للحد الذي جعل بعض الباحثين يعتقدون أنها قد ولدت ميتة،وضرورة البحث عن بدائل علمية، تضمن لها البقاء والاستمرارية، وذلك بأن يدرس نشاطها ضمن اختصاصات أخرى، لا تمت للسانيات بصلة، إلا ما تعلق منها باللغة ، ولهذا كان إلحاقها بشجرة النقد الأدبي؛ حتى تكون رافدا موضوعيا إلى جانب عديد المناهج النقدية.

ورغم هذا ، بقيت الأسلوبية متشبثة بما أرضعتها به اللسانيات؛فلم تستطع تحقيق اسقلالها ،ويظهر ذلك جليا من خلال مستويات الدراسة الأسلوبية ،والتي تم التطرق إليها في الفصول السابقة.

علاقة الأسلوبية بعلم الدلالة

لا جدوى من أي دراسة إذا لم تكن ذات بعد دلالي؛ ذلك أن " لعلم الدلالة أهمية في فهم النص الأدبي– شعرًا ونثرًا – وتحليل بناه المكونة له على الصعيدين الخارجي والداخلي، ذلك أن النص يتحرك ضمن دلالاته، ولا شيء

يقوى على ضبط هذه الدلالات، وتحديد مواقعها، أو رسمها وبنائها قدر ما يقوى الأسلوب عليه"(1).

ولهذا، فالأسلوبية تبحث في الجمالية الدلالية،أي من خلال ربط الدلالة بالأثر النفسي الذي يلحق بالمتلقي.

النظريات الأسلوبية

لقد خضعت الأسلوبية كبقية العلوم إلى التطور،هذا الأخير الذي يكون إما تعديلا للسابق، أو إلغاء له، أو البناء عليه، والتأسيس لشيء جديد.وعلى هذا الأساس ،لم تكن الأسلوبية واحدة، فقد كانت أسلوبيات متعددة لتعدد النظريات في الدراسة .

ولهذا وجب علينا تعريف النظرية ؛حتى نتبين الأسس التي قامت عليها تلك الاختلافات في النظريات الأسلوبية.

فالنظرية " عبارة عن مجموعة من المفاهيم، و التعريفات والاقتراحات التي تعطينا نظرة منظمة لظاهرة ما، عن طريق تحديدها للعلاقات المختلفة بين المتغيرات

[1] نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ص 50 .